قصائد

تاركاً للشريفِ الشجيِّ حنينَ الحجازِ وجمْرَ الغضا

طللٌ في حيرة

علي جعفر العلّاق

طللٌ في حيرة من أمره

جلس الشاعرُ، ذاتَ عشيةٍ
يتأمل ديارحبيبته..
أكوامٌ من الحصى للخطِّ على الرملِ
وعظامٌ لغربانٍ نفقت في ديارٍ مهجورة
كثبانٌ تتثاءبُ، ونايات عاطلةٌ عن الشكوى..

التقطَ، من بين الركام، حصاةً ميّتة
لينفخ فيها شيئاً من روحه
فانبعثَ منها أنينٌ شاحبٌ
وأقمارٌ مثلّمةْ..

تناول أحدَ النايات
فاستحالتْ يدهُ ريشةً للكتابة..
وصار الميمُ والياءُ غزالينِ
يجرحان
الهواءَ..
ونظر إلى نفسه فإذا هو طللٌ
في حيرةٍ من أمره ..

■■■

الشريفُ الشّجيّ

أمسِ مرَّ الشريفُ الشجِيُّ
بلا جسدٍ. ترفعُ الأرضُ
جثتها كيْ يمُرَّ..

حزيناً بدا..
نافضاً فرطَ غيظٍ
عباءتهُ..
قلتُ: يا سيدي
أين ولّى زمانُ الرضا؟

كان خِشْفُ شهيٌّ
يمسّدُ نبضَ الهواءِ بكفّيْنِ
مترفتينِ..
كما الوهمُ ملءَ اليدينِ..

كما زمنٌ مرهفُ وانقضى
لم يقبّلْ سوى كفّهِ
تاركاً للشريفِ الشجيِّ
حنينَ الحجازِ
وجمْرَ الغضا..

■■■

جبالُ الأسى

كَيف أمكنكَ أن تنهضَ
من رميم تلك اللغاتِ المتهالكة؟
كيف أُتيحَ لك ما لا يتاحُ لسواك
مِن صاغةِ الكلام:

أعني هذا الجمالَ الوعر..
أعني قصيدتك التي شحنتها، حدَّ الاختناق،
بكوارثنا التي تتجدّد
كلّ يوم..

ماذا فعلت بنا أيها الشيخُ المتمرّدُ؟
لقد رحلتَ قبل أن ترى ممالك الخرابِ
وبعد أن تركتَ، لدى كلّ واحدٍ منا،
جبلاً من الأسى
يتمشّى معه.

■■■

جبرا إبراهيم جبرا

مرَّ كهلُ فاتنٌ بالأمسِ
في درب الأميراتِ..
رأى بغدادَ في زاويةٍ من حلْمهِ الآفلِ
واليأسُ على مقربةٍ منها يغنّي..
دمعةٌ عريانةٌ تسقط من مسبحةِ اللهِ
وكهلُ موجَعُ يصغي:
هشيمُ الأسطواناتِ..
نساءٌ يتوهَّجْنَ بحبر اللذةِ الأولى..
وما تنثره اللوحاتُ من فوضى..
ومن عطرٍ إلهيٍّ..

حنينٌ عابرٌ للطوائف

إنه الدرويشُ العابرُ بين الثعابين
المسكونُ بقصائد الحنينِ العابرِ للطوائف
سيّدُ الأنهارِ التي كفّتْ عن النحيب
بعد أن يبس فيها الماءُ
وأينعتِ الحجارةْ..

رأيته أمس:
وهو يصغي إلى المتنبّي
حين كان يودّعُ بلاداً
لا صديقَ بها..

مع دعبل الخزاعيِّ يداً بيدٍ
وهما يعبران بين جمعٍ من الناس
دون أن يريا أحداً..

رأيته اليومَ مع الشريفِ الرضيِّ
وهما يحملان، وحيدين،
جثمانَ عبد الرزاق عبد الواحد
الى قصيدته الأخيرة.

■■■

المركبة الأخيرة

لا ريشةٌ من آخر السرب
ولا صدى المركبةِ الأخيرةْ..
يمضي إلى مدينةٍ
يعودُ من أخرى..

وما يزالُ يرقبُ السماءَ دون طائلٍ
ويستفزُّ الأرَضينَ السبْعْ
لا لغةٌ تسعفُهُ..
لا نبْعْ.

■■■

قد يهدأُ البحر

قد يهدأ البحر يوماً..
قد يعرّفني على خطاياي..
يُهديني نصائحَهُ الهوجاءَ كالموجِ
هل أصغي؟
أأشكرُهُ على هداياهُ
ام أرثي لحكمتِهِ العمياءِ؟
هل زارني من قبلُ؟
لم أرَهُ..
تذكَّرَ الآنَ؟

يا للبحر..
يُطْلِعنا على خفاياه..
لكنْ بعد أن يصلَ
الغرقى
إلى
الق
ا
ع.

(قصائد مختارة من مجموعة الشاعر الأخيرة «فراشاتٌ لتبديد الوحشة» الصادرة عن دار «خطوط وظلال»)

النص الكامل
على الموقع الألكتروني

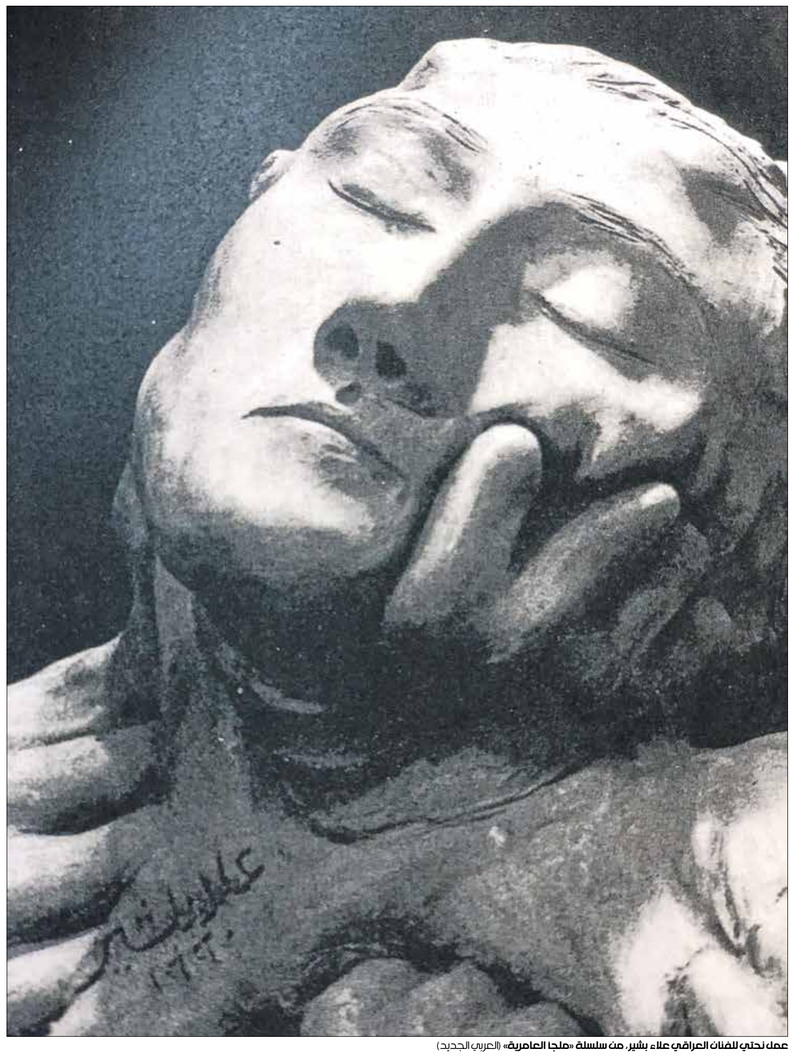

عمل نحتي للفنان العراقي علاء بشير، من سلسلة «ملجأ العامرية» (العربي الجديد)

بطاقة

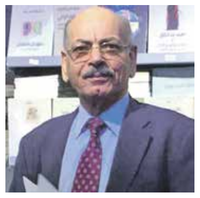

شاعر وناقد وأكاديمي عراقيّ من مواليد 1945، حاصل على دكتوراه في النقد والأدب الحديث من «جامعة إكستر» البريطانية. عمل أستاذاً في العديد من الجامعات العربية. صدر له أحد عشر كتاباً نقدياً، ومن أعماله الشعرية العديدة: «لا شيء يحدث، لا أحد يجيء» (1973)، و«فاكهة الماضي» (1985)، و«سيّد الوحشتين» (2006)، و«ذاهبٌ لاصطياد الندى» (2010)، و«طائر يتعثّر بالضوء» (2018)؛ كما صدرت أعماله الكاملة في أكثر من طبعة.

قراءة

إيفان كليما المخلّفات هي المستقبل

القمامة كاستعارة لنظام سياسي

يحكي الروائي التشيكي قصّة كاتب وأستاذ جامعي يُصبح جامعاً للقمامة بعد عودته من الولايات المتّحدة إلى بلده، في ظلّ النظام الشيوعي

عباس بيضون

«حب وقمامة» هي تحفة إيفان كليما، الروائي التشيكي، الذي يشكّل مع ميلان كونديرا وبوهوميل هرابال، السابق عليهما، ثالوثاً روائياً بالغ الأهمّية. ليس عنوان الرواية (صدرت ترجمتها العربية عن دار «التنوير» بتوقيع الحارث النبهان) وحده ينطوي على مفارقة، فثمّة مفارقات في كلّ مجال للرواية، مفارقات قد يكتفي الروائي بعرضها وبسْطها، دون أن يفسّرها أو يردّها إلى سبب ما.

لعلّنا لا نفهم، ولا يُسعفنا الروائي بشرح، لماذا يختار كاتبٌ معروف - هو بطل الرواية - الاشتغال بجمع القمامة بعد عودته إلى بلده من الولايات المتّحدة التي عُرف فيها بوصفه كاتبَ مسرح، وعمل فيها أستاذاً جامعياً. عاد إلى بلدٍ كان ما يزال تحت النظام الشيوعي. الأستاذ في جامعة أميركية عاد ليعمل جامعَ قمامة في تشيكسلوفاكيا؛ مفارقةٌ لا يلجأ كليما إلى تفسيرها. هل يمكن أن نردّ القمامة إلى النظام الشيوعي، باعتبارها، واعتبار الشغل فيها، من بعيد أو قريب، من مجازات الشيوعية أو رمزياتها؟ ثم إننا لا نعرف سِرّ اختيار الكاتب لهذه الحرفة: هل هي تجربة أُخرى، خاصّة وأنه، في وقتٍ ما، يقرّر هجرها، كأنه بذلك يختم التجربة وينهيها؟ لن يتطوّع الكاتب لكشف ذلك، بل يتركه لنا، كأننا فيه إزاء قصيدة توكل إلينا مهمّة فكِّها وتأويلها.

ليست القمامة والكتابة هما المفارقتان الوحيدتان، فهناك أيضاً الحيرة بين امرأتين. الأُولى، الزوجة التي سبق زواجَه بها حبٌّ تكفّل الزواجُ بتبريده، بدون أن نعرف حقيقة ما انتهى إليه. كلّ ما في الأمر أنّ الكاتب انتقل إلى حبٍّ ثانٍ، وبقي طوال الوقت مشتّتاً بين العلاقتَين. امرأتان، إحداهما طبيبة نفسية، والثانية نحّاتة، وهو لا يملك أن يقرّر بينهما. يُنهي علاقته بالثانية وقتاً يعود بعده إليها. يُخبر الأولى بعلاقته بالثانية، لكنّه يقضي بقية الوقت في خداعها والكذب عليها.

هذا الحبُّ المزدوج عبارةٌ عن تجربتين تتواجهان، ولكلّ منهما حيثيتها وقوامها، لكلّ منهما حاجتها في محلّها وفي وقتها، ولكلّ منهما حجّتها وأسبابها ومداها. إذا كان الكاتب حسم الأمر في النهاية، وعاد إلى زوجته وهجر عشيقته، فإنّنا في آخر الرواية نجده قد التقى بها، ولا نعرف حينها إذا كان ما يزال مُقيماً على حبّه أم لا. بل يتراءى أنّ افتراقهما ليس إلّا اضطراراً وترتيباً واقعياً. كلام الكاتب عن حبّه للثانية لا يترك أيّ شكّ في حبّه لها، لكنّنا، للمرّة الثانية، نتساءل إذا لم يكن الأمر أكثر من تجربة يخفى معناها حتّى على صاحبها، مثلها في ذلك مثل الشغل بالقمامة، فالكاتب يجرّب فحسب، ولا يسوس تجربته، بل يتركها لمداها.

للكاتب زمرته من المشتغلين معه في جمع القمامة. إنهم أصناف عاديون من الناس ولهم كل سلوك الناس العاديين، مع ذلك لا ينتهي الأمر هنا. بين جامِعِي القمامة لا نجد فقط كاتباً معروفاً، لكنّنا نجد أيضاً، إلى جانبه، استثناءات مماثلة. كأنّ القمامة هكذا ليست حِرفة عادية فحسب، بقدر ما هي مكبٌّ افتراضي لمجرّبي وضحايا النظام نفسه. إذ من دون أن يقرّر الكاتب ذلك، ومن دون أن يُلقي مسؤولية واضحة على النظام، نرى بتعجّب ذلك المخترع الذي لا يفتأ يصمّم ما لا نعرف حقيقته، وإنْ كنا نستشفّ منه التخييل والوهم. إلى جانب المخترع الخيالي، نجد العازف المريض، الذي لا يجد سبيلاً إلى دواءٍ لمرضه، فالدواء مُكلِف لكونه من بلد آخر.

لا نعرف كم يصيب هذان المثلان النظامَ الشيوعي من دون أن يسمّياه، لكنّنا هكذا نجد معنىً آخرَ للقمامة. اختراع الوهم، مثل العزف المريض، هما أيضاً من القمامة، كما ينتجها مجتمعٌ ونظام. لكنّ عرض القمامة الأخير هو حين يكتشف الكاتب - على الشرفة التي كان يشاهد عليها أعمال نحّات لم نعرفه ولم نعرف اسمه - تماثيل لجامعي القمامة، زملائه، ويتوجّس أنّ صانعتها صديقتُه النحّاتة. هكذا يغدو الفنّ نفسه قمامةً وتكون له قمامته الخاصة. نفهم عندئذٍ كيف يتحوّل الحب ويتحوّل المجتمع إلى قمامة. نفهم كيف أنّ نظاماً كهذا، ومجتمعاً كهذا، هما في حقيقة الأمر قمامة، أو أنهما، في نهاية الأمر، أدواتُ تحويلِ كلّ شيء إلى قمامة. نفهم عندئذ، ولو من بعيد، أنّ الحب الذي لا يقاوِم، وينقلب إلى الزواج الذي سبقه، ليس في حقيقة الأمر سوى هذه القمامة. وما يبقى في النهاية حقيقياً وأصيلاً هو ما يمثّله كافكا الذي يخطر باستمرار في الرواية: الصدق.

(شاعر وروائي من لبنان)

كأننا فيه إزاء قصيدة توكِل إلينا مهمّة فكّها وتأويلها

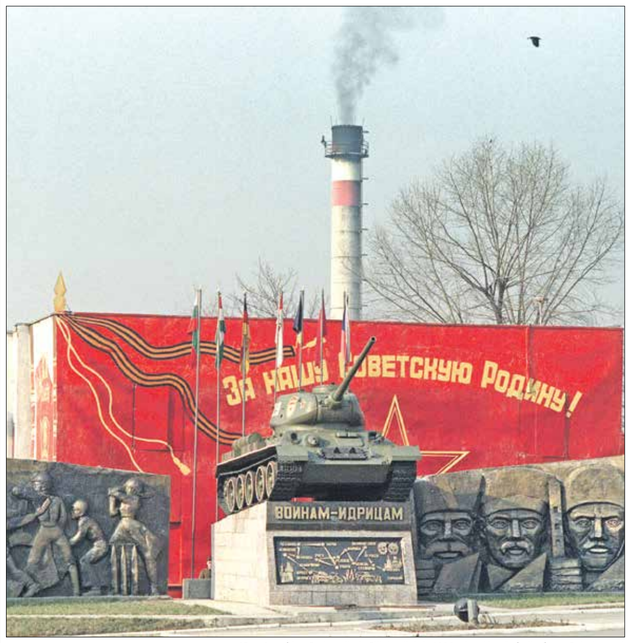

في ميلوفيتسه، شمال شرق براغ، عام 1990، قبل انهيار الاتحاد السوفييتي بأشهر (Getty)

متابعة

مهرجان تيمغاد عودة في تمّوز

موسيقى في المدرّج الروماني

بعد غيابها خلال السنتَين الماضيتَين بسبب جائحة كورونا، أُعلنت أخيراً عودة التظاهُرة الموسيقية في الأسبوع الأخير مِن الشهر المُقبل

الجزائر ـ مليكة ياسين

من مدينة «تيمغاد» الأثرية، 2012 (Getty)

في صيف 1998، عاد «مهرجان تيمغاد الدولي» في محافظَة باتنة، على بُعد 418 كيلومتراً شرق الجزائر العاصمة، بعد انقطاع استمرّ سنوات عدّة. وكان وقوفُ موسيقيّين مِن الجزائر وخارجها على خشبة مُدرّجات «تيمغاد» أو «تاموغادي» - المدينةِ الأثرية الرومانية التي بُنيت عام 100 للميلاد، وصنّفتها «يونسكو» عام 1982 ضمن قائمة التراث العالمي - بمثابة إشارة إلى بداية نهاية مرحلة عاشت فيها الجزائر أزمةً أمنية وسياسية وعزلةً دولية. هكذا، وجدَت التظاهُرة الموسيقيّة نفسَها أمّام مهمّاتٍ جديدة: «كسرُ جدار الصمت والعزلة وبثُّ الأمل مِن جديد، مِن خلال الفنون والثقافة»، بحسب تصريحات القائمين عليها حينها، وهي مهمّاتٌ انضافت إلى مهمّتها الأصلية، حين انطلقت في عام 1967 كتظاهُرة محلّية باسم «مهرجان الفنون الشعبية»: إضفاءُ حركية ثقافية وسياحية على المنطقة التي تضمُّ المدينة الرومانية الأقدم في أفريقيا، والوحيدة التي لا تزال مُحافِظةً على شكلها النموذجي في القارّة.

عُهِد إلى «الديوان الوطني للثقافة والإعلام» - وهو هيئةٌ تابعةٌ لوزارة الثقافة - تنظيمُ التظاهُرة ضمن ما يُنظّمه من أنشطة ثقافية وفنّية، واستمرّ ذلك منذ 1998 وحتّى 2006، سنةِ اعتماده رسمياً مِن قبل الوزارة باسم «مهرجان تيمغاد الدولي»، وتعيين إدارةٍ تُشرف على تنظيمه. ومنذ عودته، بات المهرجانُ التظاهُرة الفنّية الأبرز في الجزائر، قبل أن يتوقّف مُجدَّداً في دورته الواحدة والأربعين صيفَ 2019.

كان الحَراك الشعبيُّ الذي شهدته الجزائر في تلك السنة السببَ الظاهر لتوقُّف المهرجان، وهو توقُّفٌ سيستمرُّ خلال السنتَين اللاحقتَين بسبب انتشار جائحة كورونا.

لا يزال عددٌ من المهرجانات الثقافية في الجزائر متوقّفاً منذ 2019

غير أنّ اللافتَ عدمُ تطرُّق القائمين على وزارة الثقافة، طوال تلك الفترة، إليه؛ إذ لم تصدُر عنهم أيّةُ تصريحاتٍ تُفيد بتأجيله أو موعد عودته، وهو ما لا يزال ينطبق أيضاً على تظاهُرات أُخرى، مثل «مهرجان جْميلة العربي» في سطيف، و«مهرجان الفيلم المتوسّطي» في عنّابة، و«مهرجان الفيلم العربي» في وهران.

هذا الصمت سيكسره مُحافِظ باتنة، توفيق مزهود، الذي أعلن، قبل أيام، على هامش انطلاق الدورة الأُولى مِن «الأيام الوطنية للفنّان المُؤدّي» في «دار الثقافة محمد العيد آل خليفة» بمدينة باتنة، عن عودة المهرجان بـ «نَفَس جديد» في الأسبوع الأخير من تمّوز/ يوليو المقبل، مُشيراً إلى تخصيص مبلغ مالي لإعادة تهيئة المدخل الرئيسي لمدينة تيمغاد الأثرية.

ولم تُعلِن وزارة الثقافة، إلى الآن، عودة المهرجان، أو أعضاء الهيئة التي تُنظّمه، مع العلم أنّ الإقالات التي طاولَت، منذ 2019، كثيراً من مُديري المهرجانات الثقافية (لا يزال معظمها من دون مديرين) لم تشمل مدير «مهرجان تيمغاد الدولي»، الذي وجّهت قرابةُ أربعين فنّاناً من مدينة باتنة، خلال الشهر الماضي، رسالةً إلى وزيرة الثقافة صورية مولوجي، طالبوها فيها بإعادة النظر في إداراته، بدعوى أنّها تتضمّن «دخلاءَ على المشهد الفنّي».

فعاليات

تحتضن «ساقية الصاوي» في القاهرة حفلاً غنائياً لفرقة **الأوّله بلدي** عند السابعة من مساء اليوم. تُقدّم الفرقة، التي أخذت اسمها من إحدى أغنيات العازف والمغني المصري الشيخ إمام (1918 - 1995)، مجموعة من أغانيه المعروفة بمواضيعها التي تلامس هموم الطبقات الشعبية، معتمدة على آلات التخت الشرقي.

حتّى 6 آب/ أغسطس المُقبل، يستمرّ معرض **غ ت** للفنانَين **شذى الصفدي** و**أكرم الحلبي** بغاليري «زاوية» برام الله. افتُتحَ المعرض في 16 من الشهر الجاري، ويضم مجموعة من الأعمال التي أنجزها الفنانان أخيراً، وتتناول قصصاً من الجولان السوري المحتل. ويعيد الثنائي اكتشاف المكان بمشاهد بصرية وصور في مُعالجة تعكس تأملاً في الحياة اليومية وتناقضاتها.

تُحيي **أوركسترا قطر الفلهارمونية** أمسية موسيقية تقدّم فيها بعض أبرز المقطوعات الكلاسيكة عند السابعة والنصف من مساء بعد غد الثلاثاء، بـ«دار الأوبرا - كتارا» في الدوحة. من الأعمال التي ستُعزف «مقدمة أوبرا دون جيوفاني» لموزارت، و«كونشير تو الكمان» لماكس بروخ، و«السيمفونية رقم 4» لبيتهوفن.

ارسم كالعظماء عنوانُ ورشة موجّهة للأطفال تنظّمها «منصّة تكوين - جونيور» بالكويت، انطلقت يوم أمس وتستمرّ حتّى الرابع من الشهر المُقبل. تُعقد الورشة في الرابعة والنصف عصرَ السبت والاثنين والأربعاء من كلّ أسبوع، وتأتي ضمن أنشطة المنصّة للانتقال بالطفل من التلقين إلى التعليم الذاتي.